النزعة الانسانية في الأدب العربي الحديث

الآداب تستفتي

هل صحيح ان النزعة الانسانية ضعيفة في الادب العربي الحديث؟ اذا كنتم تعتقدون ذلك، فما هي اسباب هذا الضعف، وما السبيل الى معالجته ؟ .

جواب الاستاذ سلامة موسى

أجل . ان النزعة الانسانية في الادب العربي الحديث ضعيفة بل اكاد اقول انها معدومة .

وعلة ذلك ان الادباء العرب لا يزالون يتعالون على الشعوب التي يعيشون بينها ويأكلون لقمتهم من كد ابنائها . بل ان منهم من يكرهون الفقراء . وقبل سنوات عيرني كاتب، يوصف بأنه كبير، باني اسكن في حي الفقراء في القاهرة ...

اي ان الفقراء مكروهون محتقرون .

ما الذي يجعل الكاتب انسانياً ؟

هو ان يعيش في طبقات الشعب ويعرف الثراء والفاقة، واحزان الناس وافراحهم، وقوة العلم على تعميم الرفاهية، ومحو التعاسة . وعندما يفعل ذلك يجد ان قلبه وعقله مع الفقراء وعندئذ يشتغل بالسياسة ويأخذ من هذه السياسة بالمذهب الاشتراكي .

ولا يمكن كاتباً عربياً ان يكون انسانياً الا اذا كان قد درس السياسة ووصل منها الى المذهب الاشتراكي .

ولا يمكنه ان يكون اشتراكياً الا اذا كان يعرف بل يوقن ان العلم يستطيع ان يمحو الفقر والشقاء لانه يزيد الثراء. ويجعل العمل المنتج مستطاعاً بلا ارهاق او كد . وعندئذ يتاح للعامل (وكل رجل او امرأة في الامة يجب ان يعمل) ان يجد الأجر الكافي لرفاهيته . ويجد الفراغ لتثقيف ذهنه وجسمه. ويجد الظروف الاجتماعية التي تتيح له الحب والابوة وسعادة الاخاء البشري وحرية الفكر ، هذه الحرية التي لا تعد حقاً للانسان بل واجباً . لانه لا يمكنه ان يكون انساناً اذا ارتضى لنفسه العبودية للتقاليد المظلمة او الغيبيات المضللة او الاستبداد المذل .

جواب الاستاذ رئيف خوري

النزعة الانسانية في الادب ! ماذا تريد بها ؟ اتريد بها تلك النزعة التي تجعل من الانسان موضوعا للادب يدور عليه ولا يحيد عنه ؟ ولكن هذا الموضوع ياصاحبي خضم عظيم ، لا مقاس لعمقه ، ولا لسعته ، ولا حصر للخلجان والبحيرات التي يتشعب فيها ، ولا للانهار والجداول التي تنصب فيه. وبعد ، فموضوع الانسان — على الاقل — موضوعان : الانسان جماعة (اي : المجتمع) والانسان فرداً . ولا يقل قائل ان الموضوعين متشابكان، فهذا لا يعني انهما غير متمايزين . ثم ان الانسان كائناً منصوباً في وجه الطبيعة ، هوموضوع. وكذلك الانسان كائنا مصارعا او معاونا للانسان في قلب المجتمع هو موضوع آخر . واحسب ان الادب الذي يدور على احد هذه الموضوعات ، وان في اطار انساني عام او قومي خاص ، قابل لأن يوصف بالنزعة الانسانية .

فاذا اتفقنا على هذا ، لم يكن لنا ان نقول ان النزعة الانسانية في الادب العربي ضعيفة من كل وجوهها . لا ، فان في قصائد حافظ إبراهيم ، مثلاً ، التي شن فيها الحملة على الاستعمار البريطاني وتغنى بمصر ، وغنى حقوقها ، نزعة انسانية مشتقة من العاطفة الانسانية الاصيلة ، عاطفة القومية وحب الاستقلال القومي . وكذلك قصائد خليل مطران التي دمغ بها الطغاة تشتمل على نزعة انسانية مشتقة من العاطفة الانسانية الاصيلة التي هي الحرية . ومثل هذه النزعة نلمسها حارة قوية في كثير من شعر شوقي وسواه من بقية شعرائنا المحدثين . وكذلك قصص المنفلوطي مثلاً تتنفس عن لوعة والم لحظوظ البؤساء ، وذلك ايضا لون من النزعة الانسانية .

ولكن مع ذلك تبقى جوانب كثيرة من النزعة الانسانية غير ممثلة في ادبنا الحديث . واولها : الانسان منصوبا في وجه الطبيعة يتحداها ليسخرها بعلمه وعمله . فان الحياة العربية لتتحمل مثلاً رواية عظيمة ينشئها كاتب موهوب في موضوع احياء الصحراء ، ولو كان تأليفه مضطراً ان يأتي اليوم تخيلاً كتخيل «جول فرن» ... والجوانب التي نجد فيها نزعة انسانية في الادب العربي الحديث ، كالقصائد والفصول في المناداة بالتحرر القومي والاصلاح والعدل الاجتماعي ، ما زالت تتحمل التعميق والتوسيع . ومرد ذلك في رأيي الى كسل ادبائنا عن معالجة الفنون الادبية التي يشهد التاريخ بانها هي دون غيرها مطيعة لان تتجلى فيها النزعة الانسانية قوية تامة . فلم يجد ادباؤنا من هذه الفنون الا القصيدة الغنائية القصيرة ، فاما الرواية والمسرحية والملحمة فمازالت تنتظر ادباء العرب الذين يبدعون فيها . ان النزعة الانسانية في ادب كاتب عالمي مثل تولستوي او بلزاك لم تظهر في مقالة كتبها بل في رواية طويلة صبر على إخراجها ممثلة لعصر وموجهة لعصر .

مرة اخرى اقول ان الكسل والسرعة وايثار السهولة هي الآفات المسؤولة عن ضعف النزعة الانسانية في ادبنا الحديث ، بل عن ضعف ادبنا الحديث بجملته . ولا علاج لهذه الآفات الا بان ينشأ لنا جيل ادبي جديد ، شرط ان يهتم هذا الجيل بايجاد ادب فملا اكثر من اهتمامه بالتحدث عن ضرورة ايجاد الادب ، وكيف ينبغي للادب ان يكون ، الى آخر المعزوفة المعروفة ! .

جواب الآنسة نازك الملائكة !!!

يفترض هذا السؤال ان ثمة شيئا منفصلاً يمكن ان نسميه بالنزعة الانسانية في الادب ، ثم يشغل نفسه بالبحث عن هذه النزعة في آدابنا الحديثة اقوية هي ام ضعيفة . وهو يجنح ايضا الى تقرير جواب من لون معين عندما يفترض ان الجواب سينتهي الى ان النزعة ضعيفة، ولذلك يحتاط ويلقي سؤالين حول اسباب هذا الضعف والسبيل الى «معالجته» . وهذا الاسلوب في صياغة السؤال ان لم يخط طريق الجواب خطا صارما فهو ولا شك يتطلب جوابا مقصوداً .

وعلى ذلك فلا بد للجواب ان يكون حذراً فلا يستسلم للفرض الذي بني

عليه السؤال . فما المقصود بالنزعة الانسانية قبل كل شيء ؟ او ليس الادب كله محصولاً انسانياً يعالج احاسيس الانسان وافكاره وانفعالاته واحداث حياته ؟ وهل كان محض صدفة ان الاوربيين يطلقون لفظ الانسانيات [Humanities] على الآداب اجمالاً تمييزاً لها عن الدراسات العلمية ؟ هذه اسئلة يتغافل السؤال عنها حين يتضمن معناه العام ان الانسانية نزعة صغيرة تقوى وتضعف ونستطيع نحن التدخل في تقويتها واضعافها .

واننا لنرجو الا يكون المقصود بالنزعة الانسانية هنا التعبير عن المشاكل والاحزان والمتاعب التي يعانيها افراد الجنس الانساني . فليس الشقاء بمجموعه الا جانبا صغيراً من المعاني الواسعة التي تتضمنها لفظة « الانسانية » ومن الغبن لهذه الكلمة العظيمة ان تتقلص وتتأكل حتى يقتصر محتواها على معنى (الالم). ولو كان المقصود بالنزعة هذا المعنى الصغير لما كان للاستفتاء داع ،فالادب العربي اليوم مصاب بجمى من صور الشقاء والتعاسة والاحزان ،وكأن حياتنا الانسانية الفذة بكل ما فيها من انطلاق وخصب وجمال قد انهارت وفقدت روحها وعزيمتها وسموها . وقد يكون هذا احد نتائج الدعوة الى اجتماعية الادب وهي دعوة اريد بها شيء فانتهت الى أشياء واشياء اخرى .

ولو سلمنا جدلاً بوجود نزعة انسانية ، وبان هذه النزعة ضعيفة في آدابنا الحديثة ، لما كان في وسعنا ، على كل ، ان نصنع شيئاً في معالجة الاشكال ، وذلك لان ضعف نزعة ما في الادب قضية معقدة تنشأ غالباً عن عوامل تاريخية وبيئية تجعل اقتراحاتنا ، حلولنا لا تزيد الأمر الا اشكالاً . والآداب لا تغير نزعاتها وفقا لآراء النقاد والصحف الادبية وانما تستجيب الى قوى خفية تتغلغل جذورها حتى تتصل بالذهنية العامة للامة ، والقوى المجهولة التي تكون نفسيتها وتاريخها الطويل . الا ينتهي بنا هذا الى التسليم بان ضعف الاتجاه الانساني — ان وجد — انما ينبع مباشرة من حياتنا الانسانية ؟ فاذا اردنا علاجاً فلنبحث في حياتنا نفسها عن السبب ، فليس الادب إلا مرآة تعكس الحياة ، وضعف النزعة الانسانية لا بد ان يكون نتيجة لضعف مقابل في انسانية الناس.

هذا فضلا عن ان الحديث عن « معالجة الضعف » الذي يفترضه السؤال ، يستطيع ان يتحول الى باب خفي ينتهي بنا الى مواجهة البلية التي يسمونها « توجيه الادب » ، ولا شيء يقتل الادب مثل ان يجد طريقه محفوفا بالموجهين والناصحين ومقترحي الحلول . يضاف الى هذا ما نشهده في التاريخ الادبي من ان الادباء الحقيقيين لا يتقبلون التوجيه الخارجي الذي لا تبرره عوامل داخلية تنبع من حياتهم نفسها .

جواب الدكتور جورج حنا

الجواب على هذا السؤال يختلف باختلاف نظرة الاديب الى النزعة الانسانية في الادب ومفهومه للانسانية نفسها. فاذا كان من ابناء مدرسة الادب التبشيري، جاء حكمه الى حد ما بصالح الادب العربي الحديث ، اما اذا كان من ابناء مدرسة الادب الواقعي والعلمي والتحليلي ، فلا شك ان حكمه يكون قاسياً على الادب العربي الحديث لافتقار هذا الادب الى النزعة الانسانية الصحيحة التي لا يتبذلها ما اسميته الادب التبشيري .

ولست اقصد بالادب التبشيري الادب الذي يبشر بالدين وحسب، انما اقصد به كل نوع من الادب الذي يشغل الاديب بالوعظ والارشاد في اية ناحية من نواحي ادبه سواء كانت الناحية الدينية ام الاجتماعية ام الاقتصادية ام السياسية هذا الادب الذي يكثر فيه تسجيل قواعد التوجيه الديني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، دونما اهتمام بتحليل هذه القواعد وانطباقها على العلم والواقع الانساني، الادب الذي تتكرر فيه كلمات « يجب ولا يجب » و «بديهي» «ولا جدال » وما على شاكل هذه الكلمات الفرضية ، الادب الذي يعظ الاغنياء بالاحسان الى الفقراء ولا يعنى بدرس مشكلة الفقر والغنى ، ويعظ الحكام بالاصلاح ولا يعنى بتتبع مستلزمات الاصلاح ، الادب الذي يشيد بالعدل الاجتماعي والحق والحرية ولا يجرؤ على الكشف عن اسباب فقدان العدل الاجتماعي والحق والحرية ، الادب الذي يتحدث كثيراً عن مشاكل الحياة والمعيشة ولا يغوص في اعماق الحياة ويشرح مشاكلها واسباب مشاكلها خشية ان يؤذي بتشريحه معقدي مشاكل الحياة والمعيشة . هذا النوع من الادب الذي ما زال شاغلا اكثر ادباء العرب بفضل التوجيه السياسي في العالم العربي وباشراف حلفاء اقوياء هم الاستعمار والرجعية والدين قد يعتقد حاملو لوائه انهم ينزعون نزعة انسانية في ما يكتبونه عن الاحسان والمحتاجين وعن العدل الاجتماعي وانصاف العامل والتضحية في سبيل النفع العام. ولكن نزعتهم هذه نزعة هوسية لانسانية خادعة وشوهاء لا تفيد النوع الانساني لا بقليل ولا بكثير .

النزعة الانسانية لا تكون الا في ادب متمرد على كل ما يمت الى الرجعية بصلة سياسة وثقافة واقتصاداً . فالرجعية كحليفها الطبيعي الاستعمار ، من شأنها تزييف الانسانية. الادب الانساني لا يستوحي الامن صميم الحياة وظروفها ومشاكلها هو الادب الذي يلهب حماسة العامة المضطهدة والمستعبدة ضد مستعمريها ومستثمريها ومجوعيها ،هو الادب الثائر على الخنوع والتواكل والصبر على الكلام ،هو الادب الذي يحمل مع كل عبارة من عباراته ثورة الذات الانسانية على كل ما يحط من قدر هذه الذات كالاحسان المذل او استثمار الانسان للانسان او تصنيف الانسان الى انسان سيد وانسان عبد .

على ان في الادب العربي الحديث تباشير آخذة بالانقشاع اكثر فاكثر على الرغم من محاولات السياسة الرجعية لطمسها . هذه تباشير تؤذن بفجر عهد جديد للادب العربي ، عهد تتجلى فيه النزعة الانسانية الحقة التي لا تشوبها شائبة ولا يشوهها زيف ولا نفاق ولا تدجيل .

جواب الاستاذ نهاد التكرلي

ان تعبير « النزعة الانسانية » قد حمل، منذ ان اوجده « الانسانيون » في عصر النهضة الاوربية حتى العصر الحاضر ، معاني مختلفة .ولذلك فمن الواجب تحديد معناه قبل الاجابة عن اي سؤال بصدده . ولا شك أن تحديد هذا المعنى سيحيل الى ميتافيزيقا الكاتب لانه سيظهر لنا الفكرة العامة التي كونها هذا الكاتب عن نفسه وعن الانسانية بصورة عامة والموقف الذي يقفه من الكون ومصير الانسان . وفي نظري ان « الذاتية الفردية » هي النقطة التي يبدأ منها الانسان عندما يستيقظ من سباته العقلي ويشعر بنفسه وبالعالم الذي حوله . وهذه الذاتية ليست سوى مرحلة ابتدائية فحسب ، لان الانسان ما يلبث بعد شعوره بذاته ان يكتشف بأنه يعيش بين افراد من بني قومه تربطه بهم مشاعر ومصالح واهداف مشتركة. فهم لا بد ان يكافحوا من اجل تحقيق غايات معينة وان عليهم ان يتألموا معاً ويفرحوا معاً وينتصروا معاً . غير ان هذا الانسان المتيقظ لا يمكن ان يرضى بهذه المشاعر والغايات الوطنية الضيقة لانه ما يلبث ان يشعر بأن هنالك حالات وغايات اخرى تربط الجنس البشري باسره . فهنالك مواقف اساسية في الكون لا تحدد حالته المخصوصة ولا حالة بني قومه فقط بل تحدد حالة « الانسان » بصورة عامة . وهنالك غايات عامة لا تهب به فقط ان يحققها ويكافح في سبيلها ، بل تهب بكل انسان ان يكافح من اجلها لكي يحقق بتحقيقها الكرامة الانسانية . فالانسان الذي يكتشف انه حر مثلا وان من الواجب ان يناضل ضد عبوديته ، لا يكتفي بهذا الاكتشاف فقط بل يدرك ان افراد الجنس البشري كلهم احرار، وان من الواجب عليه ان يؤيد كل نضال للحرية ضد العبودية في كل زمان ومكان.

(التتمة على الصفحة ٧٣)

الآداب تستفتي

البقية من الصفحة ٨

وهكذا فان المواقف والغايات والمشاعر الفردية الأصيلة تنطوي على قيم عامة تهم كل انسان . وهنا تتحدد « النزعة الانسانية » بوضوح وتبرز مهمة الأديب الذي يريد ان يأخذ بهذه النزعة فيما يكتب. فالنزعة الانسانية – وفق هذه الفكرة – ليست سوى المذهب او الاتجاه الفكري الذي يتخذ من الانسان ومصيره ومواقفه الاساسية في الكون والمشاكل التي تشغله ، غاية له. والكاتب الانساني النزعة هو الكاتب الذي يسبغ على تعبيره الذاتي ويمنح غاياته ومشاكله الخاصة – وحتى مشاكله الوطنية – معنى انسانيا عاماً بحيث تصبح هذه المشاعر والمشاكل مفهومة يمكن ان يتبناها ويعطف عليها ويسعى اليها كل انسان . فشخصيات « دستويفسكي » مثلاً متميزة بطابع انساني لأن المشاعر والمشاكل النفسية والميتافيزيقية التي تؤرق هذه الشخصيات مشاعر ومشاكل عامة يمكن ان يتساءل عنها ويشعر بها كل انسان . فهو لم يكتف بوصف مخلوقات « روسية » في عهد معين بل كان يرينا دائماً خلال هذه الشخصيات « الانسان » الذي يتساءل عن نفسه ويفكر في مصيره. وهذا في نظري سر خلوده . وكذلك فان كتاباً مثل « غلام اسود » للكاتب الزنجي الامريكي (ريتشارد رايت) يتهم بنزعة انسانية عميقة لأنه لا يكتفي بالتعبير عن نفسية طفل زنجي وحياته ونضاله ضد الاضطهاد الذي يضغط على نفسه الفتية ، ولا يكتفي بتصوير مشكلة الزنوج ونضالهم ضد البيض من اجل الحرية فحسب ، بل هو يشف عن نضال مرير للحرية ضد العبودية بصورة عامة. ومسرحية مثل « الزمان وعائلة كونواي » للقصصي الانكليزي (ج ب. بريستلي) لاتبين جزع البطلة ضد الزمان الذي يوشك ان يحطم عائلتها السعيدة الهادئة فقط ، بل هي تعبير عن جزع الانسان ضد الزمان بصورة عامة وان القارىء ما يكاد يقرأ هذه المسرحية حتى يشعر بهذه الغصة المريرة التي تجعله يتحسر على تلك العوالم البريئة السعيدة التي مر بها في طفولته وفي صدر شبابه ثم ما لبث ان انقض عليها الزمان وجرفها الى هاوية العدم . فهنا ايضاً حالة مخصوصة ما نكادنتبينها حتى تثير امامنا مشكلة اساسية عامة تتعلق بوجود الانسان وبالزمان باعتباره اساساً للتناهي الانساني . وكذلك فان كتاباً مثل « الطاعون » للكاتب الفرنسي المعاصر البير كامو لا يصف لنا حالة مدينة « وهران » بعد ان فتك الطاعون باهلها ونضال ابطالها للتغلب عليه فقط ، ولا يرمز الى حالة فرنسا تحت الاحتلال النازي ونضال افراد المقاومة ضد الغزاة فحسب ، بل هو يصف لنا الحالة الانسانية بأسرها . انه تعبير عن نضال الانسان ضد عبث الكون وجهاده لتأكيد المعاني الانسانية الخالدة التي تمنح حياة الانسان قيمة ومعنى . وهكذا فالأديب الانساني النزعة يحاول دائما ان يسبغ على مشاكله ومواقفه الخاصة قيمة انسانية عميقة بحيث يجعل كتاباته تهم البشرية كلها

والآن نتساءل ما هو نصيب الادب العربي الحديث من هذه النزعة الانسانية ؟ من الواضح ان الادب العربي الحديث ضعيف بهذه النزعة . والسبب في ذلك كما اعتقد راجع الى عوامل تاريخية واخرى شخصية . اما العوامل الاولى فهي عوامل خارجية موضوعية تتلخص في ان الاديب العربي القديم بصورة عامة مفتقر الى النزعة الفردية ولذلك لم يتسم بالشخصية وبالخلق والابتكار مثل باقي الآداب العالمة . فضلاً عن وجود نزعه بلاغية تسيطر على هذا الادب وتجعله يوجه جل اهتمامه الى فن صياغة الجمل وقوة تركيبها والى الاساليب البلاغية بصورة عامة اي انه لم يكن يعتبر الكلمات ادوات ووسائل لنقل المعاني بل كان يعتني بها بحد ذاتها . وقد كان لهذا التراث القديم ولاشك تأثير كبير على الادب العربي الحديث بحيث لم يستطع كثير من الادباء المحدثين التخلص من سيطرته . وان نظرة واحدة الى ما كان يكتبه ادباء الجيل الماضي ترينا تأثير هذا التراث على ما كانوا يكتبون . وافتقار الادب القديم الى النزعة الفردية جعله عاجزاً عن التعبير عن النزعة الانسانية لان هذه الاخيرة كما قلنا تنبثق عن ذلك . اما العوامل الثانية فهي عوامل ذاتية تعود الى فقر اغلبية الادباء المعنوي وقلة ثقافتهم وضعف شعورهم بفرديتهم ومن ثم بالمشاكل الانسانية الرئيسية مما جعلهم عاجزين عن مقاومة تيار الادب القديم وعدم نجاحهم في ابداع صور حية جديدة من حياتهم ومشاكلهم الخاصة . فهنالك بعض الكتاب نجحوا في فترة من حياتهم في ابداع آثار انسانية كانت تشير بمستقبل باهر – ككتاب « الايام » لطه حسين – الا ان انحرافهم عن استقلال النواحي الأصيلة التي نجحوا في التعبير عنها جعل هذا الاثر الحي الذي ابدعوه حدثاً فريداً لم يتكرر في حياتهم . والشيء الذي نود ان نوضحه هو ان النزعة الانسانية ليس معناها بحث المشاكل الفلسفية المجردة بل هي تعبير قوي عن القيم والمعاني الانسانية من خلال المواقف الفردية. فكاتب مسرحي مثل « توفيق الحكيم » حاول ان يحذو حذو الاوربيين في اقتباس مواضيع مسرحياته وشخصياتها من الاساطير القديمة فكتب « شهرزاد » و « اهل الكهف » و« الملك اوديب » وغيرها . ولكنه لم يستطع ان يقدم لنا مسرحيات انسانية عالمية لان المشاكل التي بحثها من هذه المسرحيات حول طبيعة المعرفة والشهوة والزمان ... الخ . بقيت مشاكل فلسفية مجردة لا تمت الى حياتنا ومشاعرنا بصلة، ومن ثم فقد بقيت هذه المسرحيات مصطنعة لاتنبض شخصياتها بالحياة . بينما يكفي ان نقرأ مسرحية « كالذباب » لسارتر او « انتيجون » لأنوي او « العادلين » لكامو لكي نشعر بأنها تمس كياننا كله بالرغم من بعد اورست وانتيجون وكاليف عنا وقرب شهرزاد واهل الكهف الى ذاكرتنا . وهنالك بعض الكتاب ممن لم يستطيعوا ان يقدموا لنا ادباً انسانياً رغم محاولاتهم المتكررة بسبب عدم اتقانهم لاصول الفن الذي يؤلفون وعدم الارتفاع بالمشاكل الرئيسية التي تهم الانسان والمجتمع الى مستوى المشاكل الانسانية الخالدة. فكاتب اجتماعي معاصر مثل «ذنون ايوب» كتب قصصاً انتقادية شعبية كثيرة – لعله حقق بواسطتها الهدف الاجتماعي او السياسي الذي يسعى اليه – ولكننا لا نستطيع ان نقول عنه بأنه انتج قصصاً انسانية لعدم استكمال هذه القصص لعناصر الفن الذي ألفت فيه ولعدم ارتفاع موضوعاتها وشخصياتها الى المستوى الانساني الذي نتحدث عنه .

هذا ما يمكن ان نقوله عن اسباب ضعف النزعة الانسانية في الادب العربي الحديث . اما طريقة علاج هذا الضعف فلن تكون بالطبع الا بالقضاء على اسباب هذا الضعف نفسها . وذلك لن يكون الا بتيقظ الادباء على اصول فنهم الرئيسية وتفتح انفسهم وعقولهم للمشاكل الاصيلة التي تهم الانسانية ، ولا شك ان استكمال الاديب العربي لأداته الفنية وشعوره بنفسه ومجتمعه وبالمشاكل التي تهم الانسانية وقدرته على تصوير هذه المشاكل والمشاعر واسباغ معنى انساني عليها ، كل هذا سيرفع الادب العربي الحديث الى مصاف الآداب العالمية . ولكننا مع الاسف لا نزال بعيدين عن هذه المرحلة . ويبدو ان ادباءنا الشيوخ قد استنفدوا طاقتهم ولم يعد بوسعهم تجاوز المستوى الذي بلغوه، فهل لنا ان نأمل في ان يحقق ادباؤنا الشباب ما لم يحققه الشيوخ ؟

جواب الاستاذ ابراهيم الوائلي

الانسانية نزعة محببة الى النفوس ،ما في ذلك من شك ، لأنها حين تخرج من طور الخيال والنظريات الى عالم التطبيق يكون معناها ان لا ظلم ولا

حروب ولا خصومات ولا استئثار ولا استعمار ولا قوة ولا ضعف ولا عصبيات بل قيادة مخلصة خبيرة في التقنين والتطبيق في عالم عارف بماله وما عليه.

وهذه النزعة قد فكر بها كثير من الفلاسفة والأدباء في عالمنا القديم ومنهم بعض مفكري العرب وادبائهم وفي طليعتهم المعري . اما في ادبنا الحديث فقد نادى بها كبار ادبائنا امثال جبران ونعيمه وسلامه موسى وطه حسين في اخريات ما كتب، ونادى بها ايضاً من الشعراء الكاظمي والرصافي والزهاوي والصافي النجفي والجواهري وابو ماضي وغيرهم ، ولكن هذه النزعة لم تستطع ان تأخذ طريقها وتستقر بين مواضيع الأدب المعروفة في مجتمعنا العربي وان تصبح ظاهرة بارزة من ظواهر الادب لاسباب لا تحتاج الى تسلسل وترقيم ...

واهم هذه الاسباب :

النزعات السياسية ، والدينية ، والعنصرية ، والاقليمية ، هذه النزعات ، وبخاصة القومية والاقليمية – قد استأثرت بادبنا المعاصر وطغت عليه طغياناً كبيراً يكاد يكون عاطفياً أكثر منه واقعياً ... !

يضاف الى هذا السبب ما في البلاد العربية من حكم يهيمن عليه جماعات بعضهم بعيد عن عالم الفكر والادب وبعضهم يضيق به ذرعاً فهم يعشون لأقل ومضة تنطلق في هذا الفضاء لذلك تراهم يحاربون الادب محاربة ترمي الى قتله !!

وهناك سبب آخر يعيش في نفوس الادباء ويؤثر في سلوكهم وانتاجهم وهو خضوع كثير منهم لعواطف محلية ضيقة وانسياقهم في ركاب التأريخ المضطرب وتأثرهم بالثقافات المتباينة التي تفرضها المعاهد دون مراعاة للنتائج والآثار التي تنبثق عنها ؟ ولا استثنى من ذلك الثقافات الغربية ذات الطابع الخاص في توجيه ابناء الشرق ، وهذا السبب الثقافي – او ما شئت فسمه – قد جعل الفكر العربي الحديث مضطرباً غير مركز لأنه يستمد حركته وعمه من مصدرين احدهما شرقي قديم فيه كثير من الاسراف في العرض والتحليل والاحكام وفيه كثير من الامشاج والاخلاط ، وثانيهما غربي حديث فيه كثير من الدسيس والريب، ومن ثم نشأ عندنا ادب يهيمن عليه طابع الارتجال والتضارب حتى عند الاديب الواحد ، ونشأ عندنا ايضاً ادب اولى به ان يسمى ادب الميوعة والتخدير سواء اكان شعراً ام نثراً . فهناك شعراء وكتاب يهيمون وراء الخمور والارداف واحمر الشفاه و « المانكير » !! وهناك شعراء وكتاب يعيشون في دنيا الملق والنفاق ويسيرون في ركاب الساسة المحترفين وهؤلاء اشد خطراً على المجتمع الانساني من الجرائم الفتاكة ...

ونضيف الى هذه الاسباب اسباباً اخرى في مقدمتها الفلسفات الحديثة المتضاربة كالفلسفة الجماعية والفلسفة الفردية والنزاع المستمر بينهما، هذا النزاع الذي يبدو بشكله السياسي والعسكري اكثر مما يبدو بشكله المنطقي المألوف. ثم اختلاف اللغات وتباعدها وتعصب كل قوم للغتهم تعصباً كثيراً ما ادى الى نزاع كبير بين القوميات المختلفة ومفارقات يصعب معها التفاهم والانسجام .

هذه الاسباب وغيرها – مما يدخل في نطاقها – تحمل اتجاه ادبائنا الى النزعة الانسانية اتجاهاً ضعيفاً بل تجعل بعضهم يعتقد بانها فكرة خيالية لا يمكن تحقيقها وان كانت اجمع دواء في تضميد جراح الانسانية المعذبة . اما السبيل الى اشاعتها في ادبنا المعاصر فانه لا بد ان يبدأ بمرحلة التفكير في الضرر الناتج من الاسباب السالفة الذكر فاذا استطاع مفكرونا ذلك فانهم يكونون قد انتقلوا الى المرحلة الثانية وهي مرحلة الانتاج والتوجيه كما تريد هذه النزعة بعد ان يطرحوا كل شيء احتقبوه من الانقاض المختلفة التي اثقلتهم كما اثقلت هذا المجتمع واثرت فيه ... ولكن هل يستطيع ادباؤنا ذلك ؟ وهل يمكن ان يفكروا بالنزعة الانسانية تفكيراً جديا ؟ وهل يستطيعون ان يقصروا ادبهم على هذا النوع وحده وهم يعيشون في عالم مضطرب معظمه لا يدين بهذه الفكرة ولا يشايعها ؟! اقول : هل يستطيع ادباء العرب ان يكونوا هم وحدهم حمامة السلام في هذا العالم الجاهم وبلادهم احوج ما تكون الى ادب ثائر يكافح الاستعمار الداخلي والخارجي على السواء ؟؟

اما اذا اردنا بالنزعة الانسانية الاتجاه الواقعي في الادب والتعبير عن آلام البشر عامة والبلاد العربية خاصة فان ذلك هو الأدب الصحيح الذي نستطيع ان نحققه بكل سهولة دون ان ننظر لأي اعتبار اهوج او سياسة حمقاء .

يصدر قريباً

الإنسان ذلك المجهول

تأليف

ألكسيس كاريل

تعريب

شفيق أسعد فريد

منشورات

مكتبة المعارف في بيروت

المكتب التجاري

للطباعة والتوزيع والنشر

- يؤمن ارسال جميع المطبوعات
- يقوم بتوزيع كافة المنشورات
- وكيل رسمي لاكثر دور النشر اللبنانية في الخارج
- وكلاء ومتعهدون في جميع البلدان العربية

صاحب المكتب ومديره

زهير بعلبكي

بيروت – لبنان – شارع سوريا

ص.ب. ٢٦٦٨ – تلفون ٢٣ - ٠-٢